

المحاضرة 06: تطور الفكر السياسي في عصر النهضة

يعتبر عصر النهضة من أهم المراحل التاريخية التي مهدت للفكر السياسي في العصر الحديث، فهذا العصر يمثل مرحلة الانتقال بين العصور الإقطاعية وبداية العصر الحديث، فقد سعت أوروبا إلى تخطي ظلام العصور الوسطى التي عمت كافة أوجه الحياة بمحاولة بعث التراث اليوناني والروماني القديم وقد أسهم الفكر السياسي الإسلامي إسهاما واضحا في هذا المجال وقد شهد العصر عملية بناء الدول الإقليمية التي تحولت فيما بعد إلى دول قومية.

1- خصائص الفكر السياسي الغربي في عصر النهضة:

- إزدياد سلطة الملوك سواء في فرنسا أو إنجلترا فقد كان الملوك يجمعون في أشخاصهم ثلاث صفات في النظام الإقطاعي (الخاصية الدينية والخاصية الإقطاعية والخاصية المطلقة).
- ان اتساع سلطة الملوك كان على حساب سلطة الإقطاع وسلطة رجال الدين ولصالح دعم الطبقة البرجوازية.
- اكتساب السلطة الملكية طابعا مركزيا واتساع وتطور هيكل ووظائف الإدارة الحكومية البيروقراطية، تشكيل الجيش الوطني الدائم.
- سلطة الملك لم تكن مطلقة بشكل كامل ونهائي حيث كانت إلى جانبها أيضا سلطة المجالس العامة للأقاليم وهي تضم النبلاء وأصحاب المهن وجماعة مختارة من ممثلي بعض المدن ذات المراكز الخاصة والمحاكم العليا والهيئات الدينية والجامعات وسكان المدن والأرياف.
- على الرغم من اقتصار تصويت المجالس على الضرائب الملكية فإن هذا التصويت بحد ذاته هو الذي وضع اللبنة الأولى لتقييد السلطة المطلقة وظهور الديمقراطية البرلمانية في الفكر والممارسات السياسية في المجتمعات الفرنسية.

2- رواد الفكر السياسي في عصر النهضة:

- أ- نيكولا مكيافيللي Niccola Machiavelle (1469-1527 م): ولد نيكولا من عائلة عريقة عام 1469 في مدينه فلورنسا الإيطالية عاش تحولات سياسيه كبيره في فلورنسا من أب اشتغل في القانون، كانت له صداقات واسعة في أوساط الكتاب والمفكرين مما سمح له الحصول على ثقافة واسعة وهذا ما أتاح له الحصول على منصب مستشار العام للدولة في فلورنسا الجمهورية عام 1498 1512 بقي يشغل هذا المنصب إلى غاية سقوط الجمهورية وعودة أسرة آل مديتشي، قام بعدة مهمات دبلوماسية، وهكذا كان مكيافيللي في مركز يؤهله لفهم خفايا سياسات الدول الداخلية والخارجية والتعبير عنها في مؤلفاته ومن أهمها الأمير سنه 1513 والخطب سنة 1519 وفن الحرب 1519-1520.

عاصر مكيافيللي الفساد الأخلاقي والاجتماعي والسياسي الذي تعرضت له إيطاليا، في دراسته في الفكر السياسي لم يتساءل مكيافيللي عن ما هي أفضل حكومة ولا ما هي السلطة أو الدولة بوجه عام، بل ببساطه كان يبحث في الوضع الذي تعيشه إيطاليا كيف العمل لسيادة النظام وكيف السبيل إلى إقامة دولة مستقرة، وكان لسقوطه جمهوريه فلورنسا عام 1512 الأثر الكبير في حياته وفي نوعية كتاباته السياسية، بالنسبة

لطروحاته السياسية فإننا نجدها في كتابيه الأمير والخطب ففي الأمير يحدد مكيا فيللي أنواع الإمارات والحكومات المطلقة وأساليب الحكم الواجب اعتمادها للحفاظ عليها وعدم انهيارها، أما كتاب الخطب فقد توسع بدراسة الجمهوريات الرومانية، تتميز كتاباتك كلا الكتابين بنزعتهم الواقعية أكثر من نزعتهم النظرية السياسية.

ب- أهم أفكاره السياسية

- مكيا فيللي والطبيعة البشرية: يرى أن البشر يتميزون بالأنانية والجبن والخبث وأنه يسهل خداعهم وأن كل فرد يسعى لتحقيق مصالحه وعلى رأسها حب البقاء دون النظر لمصالح الآخرين.
- الدين عند مكيا فيللي: انتقد الكنيسة واعتبرها سبب الفساد لكنه لم يكن ملحدًا فالدين برأيه يمكن أن يزيد من أمر الطاعة في الجيش والوحدة في الشعب.
- الأخلاق والسياسة عند مكيا فيللي: يجرد السياسة ويفصلها عن كل الاعتبارات الأخلاقية والدينية ويمتدح الحكام الذين لا يتقيدون بقيم الأخلاق للحفاظ على مراكزهم وتحقيق القوة لسلطتهم ولدولتهم، ولكن استعمال هذه الأساليب يكون بذكاء ودهاء بسريه تامة حتى يبقى سيطرته على المجتمع، فقد شعر مكيا فيللي أن فساد السياسة وتدهور العمل السياسي إنما يرجعان بالدرجة الأولى إلى تدخل الأخلاق ومعاييرها المفروضة وإلى الضغط المستمر الذي تمارسه الكنيسة ورجال الدين على مجريات الأمور السياسية وبذلك يبعد عن السياسة كل نفوذ لاهوتي أو كنسي فالدولة عنده إما أن تقوم على أسس أخلاقية ودينية وإما لا تقوم عليها فتتجه نحو الحكم على السلوك الإنساني بما فيه السلوك السياسي.
- إن هذا التجريد والفصل للسياسة عن الاعتبارات الأخلاقية لا يعني أنه يتنكر للأخلاق والدين من أثر على جماهير البشر وعلى الحياة الاجتماعية والسياسية فهو لا يشك أن الدولة القوية لا يمكن أن تقوم إلا على أساس متين من الأخلاق.

- قدام مكيا فيللي العديد من النصائح للحاكم منها:

- بين المثالية والواقعية: أن لا يكون مثالياً أو خيالياً في تعامله مع الأفراد بل يجب أن يكون واقعياً.
- بين القانون والقوة: يجب على الحاكم أن يلجأ لاستعمال الأسلوبين معاً.
- بين الحب والخوف: من الواجب أن يخافوك ويحبوك وبما أن هذا صعب فيفضل أن يخافوك.
- عليه أن يستخدم العقل ويقرأ التاريخ وأن يدرس أعمال الرجال البارزين في الحروب.
- المديح واللولم: يجب أن يمتاز بالحصافة والفتنة.
- بين السخاء أو البخل: يجب على الأمير أن يمتاز بالحكمة وأعمال العقل وألا يكون سخياً جداً ولا يهتم بالبخل (بذلك يكون كريماً مع الذين لا يأخذ منهم أموالاً وهم الأغلبية وشحيحاً مع من لا يهتمهم المال وهم قلة).
- يجب على الأمير أن يتحاشى الأمور التي تجلب إليه الاحتقار والكراهية.
- أن يكون مستعداً لمحاربة الشر بالشر
- أن يستعمل الناس لقضاء أغراضه حسبما تتطلب الظروف.
- أن يكون واثقاً من نفسه ولا يهاب ولا يتردد.
- أن يكون له من القوة ما يمكنه من ارتكاب المعاصي إذا اقتضت مصلحة البلاد ذلك

● أن يتخلص من الجنود المرتزقة وينشئ جيشاً وطنياً من أبناء بلاده.

ب- جان بودان (1530-1596):

ترجع مكانة بودان كمفكر سياسي إلى مؤلفيه الرئيسيين "منهج في الميسر للتاريخ" و "سنة كتب عن الدولة"، هو فرنسي الأصل عمل محامياً تميزت أبحاثه أنها مزجت بين النظري والتجريبي.

أهم أفكاره السياسية:

- آمن بودان بأن الإنسان في تقدم مستمر وقد هاجم الأفكار المسيحية التي سادت في القرون الوسطى.
- لم يفصل بين الأخلاق والسياسة بل اعتبر أن العدالة والأخلاق مرتبطتان بالسياسة
- أوضح أهمية القانون الطبيعي في تنظيم العلاقات وتقيد سلطه الحاكم.
- دراسة التاريخ تمكننا من حل المشاكل السياسية العملية ويسهم في فهم معنى الدولة ووظيفتها واحتياجاتها وهيكلها وأسباب الازدهار والانهيار.
- الدولة عندها تنشأ عن طريق القوه وهي أقدم أنواع الزعامة في الحروب والصراعات بين العائلات أدت إلى سيطرة الأقوى على الأضعف فالمنتصر يمثل فئة الحكام والأضعف يشكل طبقة العبيد وبإتحاد الجماعات تكونت الدولة.
- أكد على السلطة الأبوية على مستوى العائلة أو الدولة بهدف تدعيم السلطة المطلقة للملك على رعاياه عن طريق إخضاع كافة المنظمات الداخلية في الدولة.
- السيادة عند بودان: يعرف بودان السيادة بأنها "السلطة العليا التي يخضع لها الرعايا وجميع المواطنين لا تتقيد بالقوانين ووظيفة السيادة الرئيسية هي وضع القوانين فهي إذن مصدر القوانين وهي بالتالي لا تتقيد بها"
- فالسيادة عنده هي سلطة عليا مطلقة وشاملة ودائمة لا تتجزأ، فالسيادة مصدرها إلهي وليس الشعب بالتالي فالحاكم مسؤول أمام الله وليس أمام الشعب.
- أفضل أنواع الحكم عنده الملكي الوراثي لأنه النظام القادر على القضاء على المنازعات الطائفية ومعالجة الأزمات.

3- حركة الإصلاح الديني وتأثيرها على الفكر السياسي الأوروبي:

قامت أساساً كنزيرة ضد فساد الكنيسة الكاثوليكية في روما وسلطة البابا ورجال الدين الذين اكتسبوا سلطة دنيوية من وراء سلطتهم الدينية، تبلورت في القرن السادس عشر تزعمها خاصة كل من مارتن لوتر وجون كالفن والبروتستانتية تعني "حركة الاحتجاج" التي تركز على الإرادة الحرة للفرد في تخليصه من سلطة الكنيسة مع التأكيد على إمكانية قيام كل فرد بممارسة الديانة وشعائرها دون واسطة .

أ- الأبعاد السياسية لحركة الإصلاح الديني:

- قام رواد حركة الإصلاح الديني في عصر النهضة بتدعيم سلطة الملوك وكان أهم أهدافهم مناصرة الملوك في مواجهه عدائهم للكنيسة الكاثوليكية.

● قاموا بإحياء بعض الأفكار التي سادت من قبل في العصور الوسطى خاصة فكرة الحق الإلهي في الحكم أي أن الله هو مصدر السلطة السياسية وأن صاحب أي الحاكم هو ظل الله في أرضه (فهو غير مسؤول أمام البابا أو أمام الرعية).

- هاجموا ما اكتسبته الكنيسة من سلطة دنيوية ومن ثراء وتحولها عن الأمور الروحية الحقة مؤكدين أن علاقة المسيحي بالخالق يجب أن تكون مباشرة وبدون واسطة من رجال الدين.
- إقرار الحريات الفردية نتيجة التركيز على أهمية الفرد خاصة في مجال حرية العقيدة.
- وجدت هذه الحركة صداها بين ملوك الانجليز وألمانيا خاصة رغبتهم في الحصول على ممتلكات الكنيسة الضخمة وعدم دفع الضرائب للبابا في روما.

ب- أفكار مارتن لوثر الإصلاحية 1469-1546: ولد في إيلبين بإقليم سكونيا التابع لألمانيا من أب يعمل في مناجم الفحم، أكمل دراساته الجامعية في جامعة إيرفورت، وفي سنة 1505 تخلى عن دراساته العلمية وانخرط في سلك الرهبنة في سنة 1512 حصل على درجة الدكتوراه من جامعة ويتنبرغ في دراسة اللاهوت وفي عام 1517 بدأ يظهر خلافه مع كنيسة روما.

● أهم أفكاره السياسية:

- هاجم لوثر الكنيسة الكاثوليكية بما فيه من سلطة خاصة وامتيازات للبابا كما هاجم قوانين الكنيسة المدنية مؤكدا على أنها تخرج عن تعاليم الكتاب المقدس وأنها من ابتداع الكنيسة للحصول على السلطة الزمنية وجمع الثروة وقد وجه هجوما شديدا لبيع صكوك الغفران.
- ميز لوثر بين سلطتين الدينية والزمنية إلا أنه رجح السلطة الزمنية فقد رأى أن الدولة هي صاحبة السلطة المطلقة وتشمل جميع المواطنين بما فيهم رجال الدين.
- سلطة الحاكم مستمدة من الله فالحاكم مسؤول أمام الله مباشرة فهو غير مسؤول أمام البابا أو أمام الشعب.
- من رواد القومية ودورها في تكوين الدولة.
- نادى بضرورة التسامح الديني.
- أن الكنيسة المسيحية في رأيه تتكون من جميع المسيحيين المؤمنين وليس لرجال الدين أي امتيازات خاصة

ت- جون كالفن (1509-1564):

بالنسبة لكالفن فقد كان يعتقد مثل لوثر في واجب الطاعة العمياء للحكام، كان كثير الإيمان بالشرعية والسلطة لكنه اختلف معه في تفسير الكتاب المقدس.

● أهم أفكاره:

- اعترض كالفن من حيث المبدأ على الوحدة بين الكنيسة والدولة فقد كان يؤمن بأن نطاق العمل كل منهما مخالف للآخر فحسب رأيه يجب أن تكون الكنيسة حرة في وضع ما تراه من مستويات للمذهب والأخلاق وأن تحظى بالتأييد الكامل من جانب السلطة الزمنية في فرض نظامها على المعاندين أما الحكم الزمني فمهمته العناية بالحاجيات المادية للأفراد والمحافظة على النظام وتأمين الملكية ورعاية الدين والإصلاح.

- الطاعة العمياء للحاكم فهو نائب الله ومقاومته تعني مقاومة الله.